

بسم الله الرحمن الرحيم

برنامج حياة الشباب في صدر الإسلام

الحلقة الحادية والخمسون

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام، معشر الشباب ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (حياة الشباب في صدر الإسلام) ، وما زال الحديث موصولاً عن حياته ذلك الفتي علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) .

مما يحسن ذكره من حياة شباب صدر الإسلام عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) حرصه في فترة شبابه على تعلم العلم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فيضرب لنا علي مثلاً في طالب العلم الجاد ، حيث يقول في جمعه للقرآن : «آليت يمين أن لا أرتدي بردائي إلا إلى الصلاة حتى أجمع القرآن»^(١) . ومن ذلك قوله أيضاً : « ما دخل نوم عيني ، ولا غمض رأسي على عهد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى علمت ذلك اليوم ما نزل به جبريل (رضي الله عنه) من حلال أو سنة، أو كتاب، أو أمر ، أو نهي ، وفيمن نزل»^(٢) .

ومن مزايا طالب العلم عند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) هو حرصه على حديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والتحري في قبوله ، فقد كان يتلقى الحديث من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مباشرة ، ولكن عندما يبلغه الحديث من غيره فإنه شديد التحري في قبوله حتى أنه قد يصل إلى درجة الاستحلاف لمن يأخذ عنه ، خشية أن ينسب

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات مطولاً ، ٢ / ٣٣٨ .

(٢) مسند الإمام زيد بن علي ص ٣٤٣ .

لرسول (صلى الله عليه وسلم) قولاً لم يقله ، ومما يدل على هذا المنهج قوله (رضي الله عنه) : « كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني ، وإذا حدثني أحد من أصحابه استحلفته ، فإذا حلف لي صدقته ، قال : وحدثني أبو بكر . وصدق أبو بكر . (رضي الله عنه) أنه قال : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول : ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ، ثم يقوم فيصلي ركعتين ، ثم يستغفر الله ، إلا غفر الله له . ثم قرأ هذه الآية { والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله }^(١) إلى آخر الآية »^(٢) .

نعم ، علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يستحلف أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وهم الثقة العدول ! ما هذا إلا دليل على شدة تحريه في قبول النص الذي يتلقاه من غير رسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، لنا أن نتساءل عن منهج علي (رضي الله عنه) في تحصيله للعلم .

ومن ذلك فقد كان علي (رضي الله عنه) صاحب لسان سؤال وقلب عقول مما ساعده على تحصيل العلم وضبطه ، فقد قال (رضي الله عنه) : « والله ما أنزلت آية إلا وقد علمت فيم نزلت ، وأين نزلت ، إن ربي وهب لي قلباً عقولاً ، ولساناً سؤالاً »^(٣) . كما يعلل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كثرة علمه بطلبه إياه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالسؤال ، بقوله : « كنت إذا سألت أعطيت ، وإذا سكت ابتديت »^(٤) .

(٣) سورة آل عمران ، جزء من الآية ١٣٥ . وتامها : { فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون } .

(٤) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ٢ / ١٨٠ واللفظ له ، والترمذي في سننه ، وقال : ((حديث علي حديث حسن)) ، كتاب الصلاة ٢ / ٢٥٨ ، وابن ماجه في سننه ، كتاب إقامة الصلاة ١ / ٤٤٦ ، وحسنه الألباني ، انظر : صحيح سنن الترمذي ١ / ١٢٨ ، وصحيح سنن ابن ماجه ١ / ٢٣٣ ، ومشكاة المصابيح ١ / ٤١٦ .

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢ / ٣٣٨ ، وأبو نعيم في الحلية ١ / ٦٧ واللفظ له .

(٦) أخرجه الإمام أحمد ، فضائل الصحابة ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ٢ / ٦٤٧ ، وقال المحقق : إسناده صحيح . وأخرجه ابن أبي شيبه ، الكتاب المصنف ١٢ / ٥٩ . وأبو نعيم في الحلية ١ / ٦٨ .

ومما يدل على حرص علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على طلب العلم بالسؤال طلبه من المقداد^(٧) سؤال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) للتغلب على عائق الحياء ، الذي حال بينه وبين سؤال الرسول (صلى الله عليه وسلم) مباشرة ، لما رواه محمد بن الحنفية قال : قال علي : «كنت رجلاً مذاءً»^(٨) فاستحييت أن أسأل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فأمرت المقداد بن الأسود فسأله فقال : فيه الوضوء»^(٩) .

ومن الأمور الهامة في ضبط العلم وحفظه ، العمل بالعلم ، فعلى سبيل المثال : من يتعلم ذكراً من الأذكار ، فيردده باستمرار ، فلا شك أنه سيكون قادراً على حفظه ، متمكناً من ضبطه . ومن تعلم نصاً يحوي صيغة من صيغ العبادات ، فإن فعله لها ، والحرص على تطبيقها ، وسيلة لضبط ذلك النص الوارد فيها . كما أن العامل لو أراد تبليغ ذلك النص الوارد في هذه العبادة ، فسيكون متيسراً له ؛ لأنه سوف يحكي صفة يقوم هو بتطبيقها .

وكان علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) من أحرص الناس على العمل بما يسمعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ويشير إلى ذلك قوله : «كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حديثاً نفعتني الله منه بما شاء أن ينفعني»^(١٠) . وكيف يكون الانتفاع بأحاديث رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلا بتطبيقها والعمل بمضمونها .

وفي هذا المجال أيضاً نجد خبراً آخر يدل على حرص علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) على العمل بما سمعه من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وحتى في أصعب الظروف ، حيث علّم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) علياً وفاطمة (رضي الله عنهما) دعاء ما قبل النوم بقوله : «ألا أعلمكما خيراً مما سألتماه؟ إذا أخذتما مضاجعكما ، أن تكبرا الله أربعاً

(٧) المقداد بن الأسود الكندي هو ابن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن ربيعة .. الحضرمي ، هرب من حضرموت إلى مكة وحالف الأسود بن عبد يغوث ، فعرف بالمقداد بن الأسود . أسلم قديماً ، وهاجر المجرتين ، وشهد بدرًا والمشاهد بعدها ، وكان فارساً يوم بدر ، مات سنة ٣٣ وهو ابن ٩٠ سنة . (انظر : ابن حجر ، الإصابة ٣ / ٤٥٤ ، ٤٥٥) .

(٨) أي كثير المذبي ، والمذبي هو ما يخرج عند الملاعبة والتقبيل . (الجوهري ، الصحاح ٦ / ٢٤٩٠ ، مادة [مذى])

(٩) أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الوضوء ١ / ٧٨ . ومسلم في صحيحه ، كتاب الحيض ١ / ٢٤٧ .

(١٠) أخرجه الإمام أحمد في المسند ١ / ٢٠١٠ . وأبو داود في سننه ، كتاب الصلاة ٢ / ١٨٠ . والترمذي في سننه ، كتاب التفسير ٥ /

٢٢٨ . وابن ماجه في سننه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ١ / ٤٤٦ . وقال الألباني في صحيح سنن أبي الترمذي : [حسن] .

وثلاثين، وتسبحاه ثلاثاً وثلاثين ، وتحمداه ثلاثاً وثلاثين . فهو خير لكما من خادم» قال علي (رضي الله عنه) : « ما تركته منذ سمعته من النبي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) » قيل له : ولا ليلة صفين^(١١) ؟ قال : « ولا ليلة صفين »^(١٢) .

ويشير علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) إلى ضبط العلم بالعمل به بقوله : « تعلموا العلم تعرفوا به ، واعملوا به تكونوا من أهله »^(١٣) .

كما أن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يرى أن العالم لا يسمى عالماً إلا إذا كان عاملاً بعلمه ، لذا يقول مخاطباً حملة العلم : « يا حملة العلم ! اعملوا به فإن العالم من عمل بما علم ووافق عِلْمُهُ عَمَلُهُ »^(١٤) .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، هذا الجانب من حياة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في شبابه يعطينا درساً بليغاً عن حرص شباب صدر الإسلام على طلب العلم ، مما أدركوا به المنزلة العالية والدرجة الرفيعة ، كما أخبر بذلك المولى سبحانه بقوله ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^(١٥) .

كما يجب أن لا ننسى يامعشر الشباب أهمية العمل بالعلم فهو الغاية منه والثمرة المرجوة ، إضافة إلى ما للعمل بالعلم من أثر كبير في ضبط العلم ، ومما يدل على ذلك قول الشعبي (رحمه الله) : « كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به ، وعلى طلبه بالصوم »^(١٦) .

(١١) ليلة الحرب التي كانت بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما) . وصفين موضع بقرب الفرات من الجانب الغربي . (انظر : ياقوت الحموي ، معجم البلدان ٣ / ٤١٤) .

(١٢) أخرجه البخاري ، الجامع الصحيح ، كتاب الدعوات ٤ / ١٥٧ . ومسلم في صحيحه ، كتاب الذكر والدعاء ٤ / ٢٠٩١ ، ٢٠٩٢ . وكان سبب ذلك أن فاطمة (رضي الله عنها) ذهبت تسأل النبي (صلى الله عليه وسلم) خادماً . واللفظ لمسلم .

(١٣) أخرجه الدارمي في سننه ، كتاب المقدمة ١ / ٨١ . وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٨ / ٦ . وابن قتيبة في عيون الأخبار ٢ / ٣٥٢ . ووکیع بن الجراح في كتاب الزهد ٢ / ٥٣١ .

(١٤) أخرجه الدارمي في سننه ، كتاب المقدمة ١ / ١٠٦ . وذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨٥ .

(١٥) سورة المجادلة ، الآية ١١ .

(١٦) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ص ٢٩١ .

وفي المقابل فإن من أسباب نسيان العلم ، ترك العمل به ، وارتكاب الذنوب ، يقول عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : « إني لأحسب الرجل ينسى العلم بالخطيئة يعملها ، وإن العالم من يخشى الله ، وتلا قوله تعالى { إنما يخشى الله من عباده العلماء }^(١٧) »^(١٨) . وفي هذا يقول علي بن أبي طالب (رضي الله عنه): « هتف العلم بالعمل فإن أجاب وإلا ارتحل »^(١٩) .

أيها المستمعون الكرام ، معشر الشباب ، للحديث بقية إن شاء الله ، في الختام نسأل المولى جل وعلا أن يلهمنا رشدنا ، وأن يوفقنا لصلاح ديننا ودنيانا ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وإلى أن ألقاكم أستودعكم الله ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

(١٧) سورة فاطر ، جزء من الآية ٢٨ .

(١٨) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨٣ .

(١٩) أخرجه الخطيب البغدادي ، اقتضاء العلم بالعمل ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ص ٣٦ . ونسبه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله ص ٢٨٣ إلى سفيان الثوري .